الندم

عاد الندم الافاق ،
عاد وصولته تقتلع الامن من الاعماق ،
كالليل الماجن . كالريح المرعبة الاصوات ،
يتسلل من كل الساحات ،
فيزيد الموت الى الاموات ،
الندم القاتل قد عاد الينا ،
ففرشنا الحزن . وغنينا ،
وحمدنا مقدمه الميمون وصلينا ،
ودعونا كل الناس الى الصلوات ،
لكن يا للخيبة ،
المعبد لم يستوعب كل الناس ،
قفل الباقون بلا احساس ،
عادوا لكهوف الندم الحيران ،
ندموا حين راوا ان المعبد يشكو الضيق ،
ففريق يشكو لفريق ،
والارض الرخوة تهتز ،
وتكاد تغور الاقدام ،
يا ويح الانسان ،
كم صار يتيما في الزمن الظالم ،
كم يشكو رعبه ،
يغرق في الطين الى الركبه ،
فالارض الرحبة ،
ضاقت بالانسان ،

المفوضية اليمنية باديس ابابا

احمد الآخذي

واخذت معالم اريحا تبتعد عنك رويدا ، رويدا .. الدخان يرتفع فوق المدينة ويسلب انفاس اصحابها ، وكنت مرتاحا لذلك . لقد ابتعدت عن الخطر .. وبعد ذلك تذكرت افراد عائلتك ، قلقت على مصيرهم ، ورحت تنتظرهم بقرب شجرة .. وفي الوقت نفسه خفت ان يكونوا قد حصلوا على سيارة او باص ، وتخطوك الى عمان .

لحظة ، ومر باص مكتظا بالمردين . وكان شقيقك يلوح بيديه لك ، توقف الباص قربك ، صعدت اليه كانك صاعد الى بوابة الفرج .. تحسست مكان قلبك ، اخذت تجس النبض ، اسعدتك النتيجة ، لقد كان طبيعيا .

مضى الباص في فراره اللاهث ، وانت مكوم مع الفراش . كان كل همك ان تصل الى عمان ، بذلك تصل الى مرفأ الخلاص وتكون بعيدا عن اريحا ، عن القبر .

●

الان واكثر من اي وقت مضى ، اصبحت الامور اكثر وضوحا ورعبا .

خرجت قبل ان يخرج احد من المدينة . كنت تمقتها حتى الغثيان وحتى ساعة الاختيار الصعبة .

ارتميت في عمان . اصبحت تتجول في الشوارع وحيدا ، هائما على وجهك .

تعرفت الى المقاهي ، مناخ المقاهي اكثر المناخات ملاءمة لنفسيتك ومزاجك .

صافحت اصدقاءك الهاربين ، هناتهم بالسلامة وطول البقاء ، ضحكت وتضاحكت معهم ، ولم تتورع مشاركتهم لعب الورق في انسيابية غير مألوفة ، دخنت من سجائرهم ، ودخنوا من سجائرك كما يحدث في المعتاد .

وكان كل املك ان لا تتجدد الحرب ثانية ، لئلا يتجدد الخطر ، ويستانف الخوف رحلته عبر اعماقك . لم تحدث الحرب ثانية ، ركنت الى اطمئنان خادر نباتي ، واصبحت تخطط للمستقبل (كانه كان ينتظرك مستقبل) وبمنتهى الانسجام .

ظلت الحياة هي الحياة ، لم تفقد نعمة العيش ، حزنت حزنا مجانيا رخيصا على الذين احترقوا وتفسخوا .. في الوقت نفسه ابتهجت لانك لم تكن واحدا منهم ، ولانك كنت حاذقا وذكيا ، هربت في الوقت المناسب . اسعفك حدسك المريض ، وافلحت ان تظل على قيد الحياة ، كالكلاب التي تهرب من حجارة الاطفال الى العراء ...

●

انت الان صريع الصدمة ..

قال لك موظف الجوازات الذي يعالج معاملاتك : ـ أين تقيم ؟

سرحت برهة ، وأصبحت وجها لوجه مع بيتك القديم والحديقة والاصدقاء . انتقلت الى ما انت فيه ، تساءلت بينما الموظف في ذروة الانزعاج والدهشة ، تساءلت : اين تقيم ايامي ؟ ارتد السؤال اليك ، لكنك كنت ملجوما .

ـ تكلم يا اخي .. في القمر انت مقيم ؟!

وتمنيت لو تكون مقيما حقا في القمر ، او اي مكان معزول منبوذ ..

قلت له باستغراب : ـ انا لست مقيما !

قهقه في وجهك الموظف وقال : ـ الاخ .. ابن بطوطة ؟!

تضايقت من هذا الاستفزاز حتى كدت ان تنفجر ، قلت له باقتضاب : شكرا . وانصرفت ...

بصقك المكان الى الشارع العام ، أخذت أقدامك تطوف ارجاءه على غير هدى .. اخترقت منتصف الشارع ، وبقيت تسير في المنتصف كالسكير او المجنون ..

زعقت من خلف ظهرك سيارة يؤمن قائدها بمصر السرعة . لكنك لم تصغ السمع .

كان يفترض فيك العقل مهما يكن بسيطا ، وبالتالي الابتعاد ، ولكنك امعنت في عنادك هه .. ماذا ؟! السيارة تصدمك . تقذفك الى ناحية الشارع كالنفاية ، جثة تسبح في دمائها ..

لكنك نجوت باعجوبة . لم يمت جسدك .

أفقت فاذا انت في المستشفى . واذا باطرافك مستعمرة للالم والتشنج .

لحظتها تذكرت الذين سقطوا على مشارف اريحا ، وتذكرت جيرانك الذين اصروا على البقاء في اريحا ، وتمنيت لو كان جسدك سليما لكي تتسلل .

بينما انت مسجون ، وجسدك سجنك .

واخترقتك مشاعر حادة كالسكاكين لا قبل لك بتحملها .. اخذت تحدق في الضمادات ، والاقمشة الملتفة باحكام حول اطرافك ، وبدون مقدمات كانت الدموع تنزف بغزارة من عينيك .

عندئذ ، كان الزمن يمارس الفعل ، وانت تكتشف انك ابعد ما تكون عن اريحا ..

تقوقعت حول بعضك ورحت تبكي وتبكي ..

تجمع حولك المرضون والممرضات والنزلاء يمطرونك بنظرات الحزن والشفقة ، فيما انت تغوص في السرير ، الى القاع .. الى القاع ..

عمان ـ الاردن

محمود الريماوي